



جامعة المنصورة

كلية الآداب

النقد التاريخي في مصر في عصر المماليك الجراكسة

« ٧٨٤ - ٩٢٢ هـ / ١٣٨٢ - ١٥١٧ م »

دكتورة

نوال بنت طلال عبد الله الشريف

أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد

كلية التربية للبنات - الأقسام الأدبية بمكة المكرمة

مجلة كلية الآداب - جامعة المنصورة

العدد الرابع والثلاثون - يناير ٢٠٠٤

النقد التاريخي في مصر في عصر المماليك الجراكسة

٧٨٤ - ٩٢٢ هـ / ١٣٨٢ - ١٥١٧ م ،

نشطت الكتابة التاريخية في دولة المماليك الجراكسة واستقرت مناهجها بفضل مجهودات عدد وافر من العلماء الموسوعيين - أصحاب الجمع التأليفى - أو المؤرخين المقتصرين - غالباً - على الكتابة التاريخية دون سواها ، مما كان سبباً في ظهور مؤلفات تاريخية منهجية ، تبرز مبادئ علم التاريخ ، وأصوله ومسائله ، وتضع صيغاً لتدوينه ، مع إبراز قيمة هذا العلم وأثره في إثراء الحركة الفكرية للمسلمين ، ومنها : " المختصر في علم التاريخ " ^(١) للمحيي الكافيحي ^(٢) ، و " الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ " ^(٣) للشمس السخاوي ^(٤) ، و " الشماريخ في علم التاريخ " ^(٥) للجلال السيوطي ^(٦) .

كما تحددت شخصيات كثير من المؤرخين المصريين ، وانعكست ملامحها على كتاباتهم ، على النحو المدرك من مطالعة " الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين " لابن دقماق ^(٧) ، وقد بانث له فلسفة خاصة في إثبات ترجمات كتابه ، جرد بها بعض الشخصيات المترجم لها في الكتاب من صفة " السلطنة " ، أو أسقطها من التسلسل الترتيبي المتبع في كتابه ، ومن ذلك ترجمة لشجر الدر ضمن تراجع سلاطين " الدولة الأيوبية " ، معنوناً لذلك بقوله : " ذكر سلطنة شجر الدر ، أم خليل " ^(٨) ، ومع ذلك فقد أسقطها من التسلسل الترتيبي لسلاطين هذه الدولة ، إذ سبقتها ترجمة " المعظم تورانشاه " معنونة بقوله : " السلطان السابع من بني أيوب " ^(٩) ، وتبعها ترجمة " الأشرف ، مظفر الدين ، موسى " ، معنونة بقوله : " السلطان الثامن من بني أيوب بمصر " ^(١٠) ، لتكون فترة وسطاً بين هذا وذاك ، وتكون سلطنتها حدثاً جرى في حينه ، وعدها ضمن سلاطين الدولة إقراراً بعدم شرعية ذلك ، حسبما ورد في رسالة الخليفة العباسي إليهم ... ثم إنها ليست من نسل الأيوبيين لتعد ضمن سلاطينهم ، وليست جديرة بالسلطنة لكونها امرأة - على الرغم مما عُدها لها من صفات - لتكون من سلاطين الدولة

المملوكية ، ولذا ترجم " المعز ، أيبك التركماني ، معنوناً بقوله : " السلطان الأول من ملوك الترك " (١١) .

وهذه حاسة تاريخية واعية يقتزن بها - مع فارق في التقدير - إسقاطه ترجمة " المنصور " ، محمد ، ابن العزيز ، عثمان " من عداد السلاطين المترجم لهم على التابع ، ضمن سلاطين بني أيوب في مصر ، ليخالف ابن دقماق بذلك سائر من أرّخ لهذه الدولة من السابقين والمعاصرين . وهذه المخالفة ليست عن غير وعي بما يدون ، ولكنها مخالفة مقصودة ، إذ اعتبر فترة حكمه - القصيرة - فترة وسطاً بين سلطانتين قويتين ، هما " العزيز عثمان " و " العادل أبو بكر " مما يجعله - من وجهة نظره - غير جدير بالاستحواذ على لقب سلطان ، وعده من سلاطين هذه الدولة المؤرخ لها . (١٢)

كما نجد ملامح هذه الشخصية المنعكسة على الكتابة التاريخية لدى عبد الباسط الحنفي (١٣) في كتابه " نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين " ، وقد أرّخ لشجر الدر تأريخ معترف بسلطنتها - على الرغم من قصر مدة حكمها ، وما صاحبها من اعتراضات على توليتها - وهو ما يفهم من إشارته إلى " المعز ، أيبك التركماني " بأنه " أول ذكر تسلطن بمصر ممن مسه الرق " (١٤) - وقد ترجم لها قبله - مما يؤكد على أن " شجر الدر " سلطان من نوع " الإناث " ، وهو اتجاه متحرر لا يفصل بين الجنسين ، ولا يأبه باعترض معترض ، وإن أسس اعتراضه على شعور عام ، أو أثر ديني ، على العكس تماماً مما ورد لدى ابن دقماق .

يضاف إلى ذلك ترجمته " للأشرف ، موسى بن يوسف الأيوبي " قرين ترجمة " المعز ، أيبك التركماني " ، ضمن سلاطين الدولة المملوكية - وقد ترجمه غيره ضمن سلاطين الدولة الأيوبية (١٥) - مشيراً في ذيل ترجمة " تورانشاه " إلى انقضاء الدولة الأيوبية الكردية " (١٦) . مما يوهم بعدم اعتراف عبد الباسط " بسلطنته ، وقد كانت ترضية للشعور العام في مصر والشام .

كما أنه اعتبر الدولة المملوكية الأولى امتداداً طبيعياً للدولة الأيوبية ، ربما نتيجة لسلطنة هذا في أثناء دولتهم - وإن كانت سلطنته حدثاً جرى في حينه ، لا يعتد به واقعاً فإنه حسب تأريخاً - وهو ما يفسره قوله في ذيل ترجمة الصالح حاجي : " ... وبخلعه انقضت دولة الأكراد وأولادهم ، ودولة الأتراك وأولادهم ، من منذ ولاية صلاح الدين يوسف بن أيوب والي هذه الدولة " (١٧) .

كما وُجِدَ أكثر مؤرخي هذه الفترة موضع الدراسة ممن مارسوا النقد التاريخي بجانبه : السلبي والإيجابي ، في العديد من مؤلفاتهم التاريخية . أما النقد السلبي ، فيتمثل في عزوف " الكمال الدميري " (١٨) عن ترديد العبارات الجارحة تعففاً ، ومنه قوله مترجماً مروان بن الحكم : " ... وتوفي مروان في سنة خمس وستين ، وثبت عليه زوجته لكونه شتمها ، فوضعت على وجهه مخدة كبيرة وهو نائم ، وقعدت هي وجواربها فوقها حتى مات " (١٩) .

والمسكوت عنه في هذا الخبر ، مُصَرَّح به لدى الطبري وابن عبد ربه بقوله : " يا ابن رطبة الإست (٢٠) . مخاطبة لابنها " خالد بن يزيد بن معاوية " في ملأ من الناس .

ويتمثل - كذلك - في عزوف البدر الزركشي (٢١) عن نقل الكثير من العبارات الجارحة للمترجمين لديه في المصادر بل وفي الأعلام المذكورين في ترجمات الكتاب عرضاً ، إذ مجرد السكوت عنها - لديه ولدى الدميري - أو نقل البعض منها دون البعض - لا شك - موجه بحس تأريخي ناقد .

ومن أمثله الاكتفاء في ترجمة أحمد بن يحيى البلاذري بقول مصدره : " ... كان كثير الهجاء ... : (٢٢) ، عازفاً عن نقل باقي عبارته فيه ، وهي : " ... بذيء اللسان ، أخذاً لأعراض الناس " (٢٣) .

وعزوفه عن ترديد قول مصدره ، وقد نقل عنه مادة ترجمة " ابن كسري المالقي " (٢٤) : " ... وقال في ابن خلدون :

يا شاعراً يتسامى وجده خلدون

لم يكف أنك خل حتى بأنك دون " (٢٥) .

بينما تعددت لديهم عناصر النقد الإيجابي ، ومنها :

أولاً : نقد الرجال من خلال نقد الحوادث : ، على نحو قول ابن حجر العسقلاني (٢٦) في حوادث سنة اثنتين وثمانين وسبعمئة فيما تعلق بحكم " الهمام ابن القوام " - قاضي الحنفية في دمشق - على " الصدر ابن منصور " بالفسق وتقرير غيره في وظيفته : " ... وكانت هذه الفعلة من عجائب تهور الهمام " (٢٧) .

وقوله في حوادث سنة إحدى وتسعين وسبعمئة في عصيان "تمريرا منطاش" على معتقه : " ... وقد تقدم أن برقوق اشتراه من أولاد أستاذه ، فكأن ذلك عند منطاش لم يصادف محلاً ، لأنه لا يعرف أصل نفسه " (٢٨) .

ونقده في هذا الموضع لا يعد تقويماً يكشف عن انتقاصه للعاصي ونعته بعدم الوفاء لمعتقه ، ومقابلته الإحسان بالإساءة ، وإنما يكشف إلى جانب ذلك عن انطباعاته عن طبقته ، وغمزهم كذلك ، إذ أن أكثر المماليك - أمراء وأجناد - لا يعرفون لهم أباً ، ولذا نسبوا إلى جالبيهم أو إلى معتقيهم ، أو إلى ما كان بأيديهم من وظائف ، وغالباً ما يأتي نسبهم ثنائياً ، يذكر فيه اسم المملوك قرين قولهم : " عبد الله " .

ثانياً : - المقابلة بين الحوادث الفاتنة والحوادث اللاحقة :

ومن ذلك نقد " ابن تعزي بردي " (٢٩) في مؤلفه " البحر الزاخر في علم الأول والآخر " ملوك عصره لعدم قيامهم بقوانين النيل ، من إصلاح لحال الجسور والترع والخلجان ، مما أدى إلى النقص في خراج مصر ، وهو ما يفهم من قوله : " ... قلت : وقد تغير في زماننا هذا - وهو سنة سبع وستين وثمانمئة - غالب ما تقدم ذكره لفساد حال الجسور ، وسد الترع والخلجان ، وعدم من يقوم بقوانين النيل وسائر ما يحتاج إليه ، فلو اهتم السلطان بذلك لوفى له ما زرع من أراضي مصر ما لا كثيراً ، فإنه لم ينقص من القوانين إلا ما ذكرناه من إصلاح أمر الأراضي للرعي لا غير .

وأما الزراع في يومنا هذا فكثير ، والتقاوي فموجودة ، ببصرة ، والأبقر وغيرها من الآلات الزراعية ففي يد كل أحد من الزراع كبيراً كان أو صغيراً .

وإنما الضرورة إلا من عدم اهتمام السلطان لا غير ، فإن الأراضي أزيد ما كانت أولاً مما ربي من تزايد البحر والجزائر وغيرها " (٢٠) .

وقوله : " ... قلت : ولعل القائل في مصر : مصروف هذه الزلافة عشرة آلاف دينار ، يكون على سبيل التهوين على الملوك حتى يشرعوا في عمارته ، وأظن مصروفه أضعاف ذلك ، وأيضاً نقل ما شئت من كثير وقليل ، ولو قلت : مصروف الزلافة ألف دينار فأنت آمن من التكذيب ، لعدم همم ملوك زماننا هذا ، واكتراثهم بعمل مصالح البلاد والرعية ، وأنت أخبر بما قلته إن صدقاً وإن كذباً . وما ذاك إلا لعدم عرفان الملوك ، وشح أنفسهم ، وجهل أرباب الدولة وعدم أهليتها لما ولوه ، لأن غالب ولالة زماننا ولوا بالرشوة ، والمولى بالرشوة ما عساه ينصح مخدمه ، إلا أن يتقرب إلى خاطره بما يستحليه له من الأموال ، فكيف أنت بمن يقول لمخدمه : اصرف عشرة آلاف دينار في مصالح المسلمين ، فيوشك إن قال ذلك - يقول له السلطان : منك المساعدة في ذلك ، فيستعيز عند ذلك القائل من الشيطان ، ويرجع في الحال عن مقالته ، ولم يزل ينقل السلطان من كلام إلى آخر حتى ينسبه ذلك القول ويستريح المشير والمشار إليه ، فإن كلا منهما أبخل من الآخر وأحرص على جمع المال " (٢١) .

وهكذا ، فلقد أتى " ابن تعزي بردي " - في هذا المثال - بنقد مركب ، انصب شطره الأول على ملوك عصره ، لمثالب يراها فيهم من " عدم همهم ، أو عدم عرفانهم ، وشح أنفسهم ، مما جعلهم لا يكثرثون بعمل مصالح البلاد " ، بينما انصب شطره الثاني على أصحاب المناصب في الدولة " لجهلهم ، وعدم أهليتهم لما تولوه من الوظائف ، لتوليهم إياها بالرشوة ، ولشح فيهم كذلك " .

ثم نجده يقابل بين ما تردد في المصادر القديمة من إهداء عجوز من بلدة " طا النمل " إلى " المأمون العباسي " بعض الجواهر والذهب ، عندما زار

قريتها ، ومقابلة " المأمون " هذا العمل بالتوسعة في رزقها بإقطاعها عدة ضياع ومائتي فدان تزرع بغير خراج ، موازناً بين هذا المفهوم من مصدره ، وبين حال مجتمعه ، وقد شاعت فيه ظاهرة المصادرات وتبوير الأرض ، قائلاً :

"... قلت : الرعية بحسب الراعي ، وعدل المأمون ورفقه بالناس أوجب سعة رزق هذه المرأة ، وكرم نفسها ، ولو كانت هذه المرأة في غير ذلك العصر (الفائت) لانتدب لها بعض الظلمة وحاسبها على شراقي أرضها ، وبور مزارعها ، من يوم استولت على " طا النمل " إلى يوم تاريخه ، واستصفى جميع مالها ، ثم أجرى عليها القوتة إلى أن تهلك ، ويرحمها الله بعد ذلك برحمته " (٣٢) .

ويلحق بذلك غمز " المقرزي " (٣٣) أمراء المماليك في عصره وأربابهم ، من خلال حديثه في " الخطط " عن رتب أمراء الفاطميين ، قائلاً : " ... وكانت الدولة لا تسند ذلك [الرتب والوظائف] إلا إلى أرباب الشجاعة والنجدة ، ولهذا دخل فيه أخلاط الناس من الأرمن والروم وغيرهم . وعلى ذلك كان عملهم لا للزينة والتباهي " (٣٤) .

ومقابلته بين حكمين قضائيين ، سالف ومعاصر ، للدلالة على تساهل القضاة في عصره وتناقضهم ، في معرض حديثه عن " جامع الحاكم " وقد عقد مجلس للحكم في صحة وقف قطعة أرض في طنطا على مصالح هذا الجامع بحضرة " الناصر حسن " لرغبته في إبطال الحكم بصحة الوقف ، وقد اختلف المفتون والقضاة ، قائلاً :

" ... انظر تثبت القضاة ، وقايس بين هذه الواقعة وما كان من تثبت القاضي تاج الدين المناوي - وهو يومئذ خليفة الحكم - ومصادمته الجبال ، وبين ما ستقف عليه في التساهل والتناقض في خبر أوقاف مدرسة جمال الدين يوسف الأستادار ، وميز بعقلك فرق ما بين القضيتين .

وهذه الأرض التي ذكرت هي - الآن - بيد أولاد الهرماس ، بحكم الكتاب الذي حاول السلطان نقضه فلم يوافق المناوي ، والجامع - الآن - متهدم ، وسقوفه كلها ما من زمن إلا ويسقط منها الشيء بعد الشيء فلا يعاد " (٢٥)

ثالثاً: - المقارنة بين سلاطين المماليك ومن عاصرهم من الملوك:

ومن ذلك قول " المقريري " في دور العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفدة " ممتدحاً " أبا المغازي " سلطان " كرابلكا " من بلاد الهند ، غامراً سلاطين عصره من المماليك ، معدداً من صفاته : السيرة الفاضلة ، والصفات الجميلة ، والأخلاق الحميدة :

" ... ولو لم تشتهر عنه ، وتحدث بها جماعات من الناس لما صدقنا بها ، لا سيما في زماننا الذي نحن فيه ، ولكن الله يؤتي ملكه من يشاء ، ويختص من يشاء ، لا إله إلا هو " (٢٦).

رابعاً - نقد أحوال المجتمع:

ومن ذلك تصريح " عبد الباسط الحنفي : في مؤلفه " الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم " بعدم الرضا عن كثير من التصرفات المنسوبة إلى بعض السلاطين ، أو المباشرين ، أو العلماء ، فضلاً عن طبقة المماليك (أمراء وجلبان) ، والذين لم تكن عاطفته معهم.

يظهر ذلك قوله منتقداً حكام عصره من خلال انتقاده " الظاهر خشقهم " لأخذه الرشا على الوظائف والولايات : " ... ذكر بعض المؤرخين أن جملة ما حصل للسلطان من المال في هذه السنة (من الرشا) نحو الخمسة وثلاثين ألف دينار ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ما شاء الله كان . انظر إلى شره هذا السلطان ، ولا عليه من كيد الناموس ، فقل إنصافه ، وكثر طمعه وجمعه للمال من أي وجه كان ، وبالله المستعان .

ومع ذلك فلقد بكى بعده على زمانه ، وأقول كما قيل :

قالت الضفدع قولاً فهمته الحكماء

في فمي ماء وهل ينـ طق من في فيه ماء " . (٣٧)

ونعتَه طبقة الممالك بأجمعهم - على الرغم من كونه منهم بالعجز وعدم الأهلية لما يتولون من الوظائف والولايات ، من خلال نعيه على " الظاهر خشقدم " إسناد نيابة طرابلس إلى " قانباي الحسني " - أحد أمراء الطبلخانات - قائلاً:

" ... وفيه في يوم الخميس العشرين منه استقر في نيابة طرابلس قانباي الحسني - أحد أمراء الطبلخانات بالقاهرة - دفعة واحدة من غير تقدم ولا ترشيح لذلك ، بل ولا أهلية ، وعد ذلك من النوادر ... وأعيب على الظاهر خشقدم هذه الفعلة ، لعظم جلالة هذه الوظيفة ، لأنه لم يعهد - قط - في دولة من الدول ولي طرابلس إلا مقدمي الألواف بمصر ... وياليت في هذا كان قانباي هذا ممن له أهلية من جهة أخرى لفضيلة أو معرفة أو ذكر حسن لصيت وسمعة أو غير ذلك مما يكون مندوحة حتى يقال : روعي ذلك المعني المكمل له ، فلهذا وليها ، بل كان في غاية الإهمال ، والله الأحد صدق الصادق المصدق : إذا وسد الأمر لغير أهله ، فانتظروا الساعة .

على أن هذه الطائفة كلها غير أهلة لذلك ، لكن الفحش في هذا أظهر وأكثر وأكبد " . (٣٨)

بل وعده عاطفة الحزن لدى بعض السلاطين لفقد الأبناء من النوادر ، يكشف عن ذلك قوله في " الظاهر خشقدم " وقد حزن حزناً شديداً لفقد ابنته " فرج " في طفولتها: "... فأسف عليها جداً حين ماتت ، حتى أبطل خدمة يوم الاثنين من كثرة أسفه عليها واشتغال باله بها ، وحزن عليها حزنه الشديد الذي ما عهد بمثله من سلطان على ولد له كبير ذكي فضل ، فضلاً عن ابنة صغيرة ، وعد ذلك من النوادر " . (٣٩)

ونعتَه على الجلبان " تمردهم وتتمردهم " قائلاً :

" ... ونودي بزينة القاهرة لدوران المحمل على العادة فزينت وفشا في هذه الزينة التشويش على الناس من الجلبان الخشقدمية ، وأخذوا في التمرد والتتمرد ،

حتى زادوا بعد ذلك عن الحد ... وقاسي الناس أنواعاً من الشدائد ، وصاروا يخطفون العمائم ، وفعلوا أشياء لا تحد ولا تعد ولا تحل ولا تجوز ... ولكن عاجلهم الله - تعالى - فأخذ أستاذهم قبل كمال السنيتين من بداية أمرهم وشرهم ، وإلا كان الحال قد عظم " . (٤٠)

وهنا نجدنا مع " عبد الباسط الحنفي " أمام نقد مركب تتراعى من خلاله العناصر الآتية:

- (أ) إنكاره على الجلبان أفعالهم .
(ب) جعله موت أستاذهم " الظاهر خشقدم " عقاباً من الله على أفعالهم ، لما في ذلك من كسرتهم ، وفي نسبة الظلم إليهما : " وبلغ السلطان ذلك فمال مع مماليكه وراعي جانبهم " .
(ج) تقديره لما سوف يحدث لو لم يكن ما حدث : " وإلا كان الحال قد عظم " .
ونعته على المباشرين اختلاس الأموال والمبالغة في تحصيلها ، من خلال قوله في مصادرة ابن العيني:
- "... فكان مجموع ما أخذ منه أولاً وآخرأ نحو الثلاثمائة ألف دينار وخمسين ألف دينار ، فانظر إلى هذه الأموال التي يملكها هؤلاء وكيف ملكوها ، ومن أين كان الأمر في ذلك ، وكيف حسابهم عند الله ، فإنا لله ولا حول ولا قوة إلا بالله " . (٤١)

ونعته لهم برؤوس الظلمة واستحلال معاقبتهم في الدنيا والآخرة ، قائلاً:

"... وفيه قبض السلطان على زين الدين الأستاذار ، ومجد الدين ابن البقري ، فألزم زين الدين بحمل مائة ألف دينار وابن البقري بحمل أربعين ألف دينار ، فصالح المجد عن ذلك بخمسة آلاف دينار ، وأما الزين فصمم على أنه لا موجود له غير داره .

وفيه في يوم السبت سادسه سجن الشرف موسى ابن كاتب عريب بالبرج من القلعة ، بعد أن حمل إليه من داره في قفص حمال لتمرضه .

وكل هذه الامتحانات بواسطة يشبك من مهدي ، فإنه السبب في ذلك ، بل هو الفاعل لها ، مع تقدير الله - تعالي - ذلك في الأزل ، لكن جرت على يدي هذا ، فعليه إثمها .

وأما المفعول معهم ذلك فقد ركنوا للذين ظلموا فلا عجب أن يحل بهم ذلك ، ولو أحرقوا فضلاً عن الضرب والحبس وأخذ المال ، بل هم - أيضاً - رؤوس الظلمة ، فلا جرم عاقبهم الله في الدنيا ، ونعوذ بالله بما لهم في الآخرة إن لم يلفظ الله بهم " . (٤٢)

وهكذا ، فإننا أمام نقد مركب ، أشير من خلاله إلى الموجب لمعاقبة هؤلاء المصادرين ، فضلاً عن الكشف عن العامل الرئيس فيما نزل بهم : " وكل هذه الامتحانات بواسطة يشبك من مهدي ، فإنه السبب في ذلك ، بل هو الفاعل لها " ، ونعت الطبقة الحاكمة (السلطان والأمراء) بالظلم (فقد ركنوا للذين ظلموا) .

واللافت للانتباه أن " عبد الباسط الحنفي " وقد جوز ما حل بهم وزيادة ، اعتبر " يشبك من مهدي " آثماً بما فعله فيهم " فعليه إثمها " .

ومن ذلك قول " المقرئزي " في درر العقود الفريدة " منكرأ على العامة توسلهم ببعض المعتقدين والمتصوفة جلب النفع ودفع السوء ، مترجماً إسماعيل بن يوسف الإنباي :

" ... أحد من تشفيت به العامة إذا مسها الضر وتجار إليه ، يزعمون أن سره يجلب لهم النفع ، ويدفع عنهم السوء والمكروه ، عادة سوء في سفهاء أهل مصر عافانا الله منها " . (٤٣)

وانتقاده في " الخطط " تصرفات العامة ، فيما يتعلق بالتوسل إلى الله بأصحاب المشاهد والقبور ، قائلاً في معرض حديثه عن رغبة أبي تراب :
" ... وبالله ، إن الفتنة بهذا المكان ، وبالمكان الآخر من حارة برجوان ، الذي يعرف بجعفر الصادق لعظيمة ، فإنهما صارا كالأنصاب التي كانت يتخذها

مشركوا العرب ، يلجأ إليها سفهاء العامة والنساء في أوقات الشدائد ، وينزلون بهذين الموضعين كربهم وشدائدهم التي لا ينزلها العبد إلا بالله ربه ، ويسألون في هذين الموضعين ما لا يقدر عليه إلا الله - تعالى - وحده من وفاء الدين من غير جهة معينة وطلب الولد ، ونحو ذلك ، ويحملون النذور من الزيت وغيره إليهما ، ظناً أن ذلك ينجيهم من المكاره ويجلب إليهم المنافع.

ولعمري إن هي إلا كرة خاسرة ، والله الحمد على السلامة ". (٤٤)

وسبه من يتعاطون الحشيش ، منفراً منه ، معدداً لآثاره السيئة على مجتمعه قائلاً : "... فلما كان في سنة خمس عشر وثمانمائة شنع التجاهر بالشجرة الملعونة ، فظهر أمرها واشتهر أكلها ، وارتفع الاحتشام من الكلام بها حتى لقد كادت أن تكون من تحف المترفين.

وبهذا السبب غلبت السفالة على الأخلاق ، وارتفع ستر الحياء والحشمة من بين الناس ، وجهروا بالسوء من القول ، وتفاخروا بالمعائب ، وانحطوا على كل شرف وفضيلة ، وتحلوا بكل ذميمة من الأخلاق ورذيلة ، فلولا الشكل لم تقض لهم بالإنسانية ، ولولا الحس لما حكمت عليهم بالحيوانية ، قد بدأ المسخ في السمائل والأخلاق ، المنذر بظهوره على الصور والذوات ، عافانا الله - تبارك وتعالى - من بلائه ". (٤٥)

ونقده لحال وطبيعة السجون على عصره ، نافياً عنها الشرعية ، بقوله :

"... وأما الحبس الذي هو - الآن - فإنه لا يجوز عند أحد من المسلمين ، وذلك أن يجمع الجمع الكثير في موضع يضيق عنهم ، غير متمكنين من الوضوء والصلاة ، وقد يرى بعضهم عورة بعض ، ويؤذيهم الحر في الصيف والبرد في الشتاء ، وربما يحبس أحدهم السنة وأكثر ولا جدة له ، وإن أصل حبسه على ضمان.

وأما سجون الولاية فلا يوصف ما يحل بأهلها من البلاء وأشهر أمرهم أنهم يخرجون مع الأعوان في الحديد حتى يشحذوا وهم يصرخون في الطرقات (من)

الجوع ، فما تصدق به عليهم لا ينالهم منه إلا ما يدخل بطونهم ، وجميع ما يجمع لهم من صدقات الناس يأخذه السجان وأعوان الوالي ، ومن لم يرضوا بالغوا في عقوبته ، وهم مع ذلك يستعملون في الحفر في العمائر ونحو ذلك من الأعمال الشاقة ، والأعوان تستحثهم ، فإذا انقضى عملهم ردوا إلى السجن في حديدهم من غير أن يطعموا شيئاً ، إلى غير ذلك مما لا يسع حكايته هنا ". (٤٦)

خامساً :- الكشف عن العامل الرئيس في توجيه الحوادث:

ومنه قول " ابن الفرات " (٤٧) معقّباً على زواج " الجمال ، محمود القيصري " بابنة ابن الطولوني:

"... ولم يسمع حصل لأحد غير القاضي جمال الدين عقد نظير هذا العقد ، والأغلب أن ذلك جميعه فعل إكراماً لابن الطولوني ، لا لأجل جمال الدين محمود ، والله أعلم بجلية الحال ". (٤٨)

وقول " الدميري " معللاً للثورة على " عثمان بن عفان " - رضي الله عنه :
"... ولما عمرت المدينة ، وصارت وافة الأنام ، وقبة الإسلام ، وكثرت فيها الخيرات والأموال ، وجبي إليها الخراج من الممالك ، وبطرت الرعية من كثرة الأموال والخيال والنعم ، وفتحوا أقاليم الدنيا ، واطمأنوا وتفرغوا ، أخذوا ينقمون على خليفتهم عثمان - رضي الله تعالى عنه - لأنه كان له أموال عظيمة ، وكان له ألف مملوك ، ولكونه يعطي المال لأقاربه ويوليهم الولايات الجليلة ، فتكلموا فيه إلى أن قالوا : هذا لا يصلح للخلافة ، وهما بعزله ، وثاروا لمحاصرته ، وجرت أمور يطول ذكرها ". (٤٩)

وهكذا ، فقد أشار إلى أن العامل الرئيس في تلك الثورة على الخليفة لم يكن في تلك الأمور التي نقمها الثوار عليه ، وإنما هو متمثل في الرخاء والدعة والتفرغ ، وتلك نظرة نقدية فاحصة ، لا تعني بظواهر الأمور عنايتها بما يكمن خلفها من عوامل رئيسة وموجهة.

وما ورد في حوادث سنة اثنتيْن وثمانين وسبعمائة لدى " ابن حجر العسقلاني " بشأن استظهار برقوق على بركة :

"... ثم استعان برقوق بالزعر فرموا أصحاب بركة بالحجارة ، ولولا إعانة العامة لبرقوق برمي الحجارة على أصحاب بركة لأخذوا القلعة ، لكنهم استظهروا على بركة ومن معه بالزعر ففعلوا فيهم الأفاعيل من الرجم ". (٥٠)

وقوله في حوادث سنة أربع وتسعين وسبعمائة مقدراً للسبب في فساد الأسعار ونقص الأموال:

"... وفيها ضربت بالإسكندرية فلوس ناقصة الوزن عن العادة طمعاً في الربح ، فال الأمر فيها إلى أن كانت أعظم الأسباب في فساد الأسعار ونقص الأموال ". (٥١)

وقول " السخاوي " مترجماً البدر ابن الصواف :

"... وتقدم بكثرة الهدايا والخدم ، ومزيد البذل لأرباب الحل والعقد ، والمبالغة في الضيافة ونحوها للقادمين عليه من ذوى الوجاهات والمناصب ، فزادت بذلك وجاهته ، وانتشرت متاجره ومستأجراته ، وروعي جانبه ، وكثر الراغب في الحلول بساحته وطالبه ، حتى كان المقر الجمالي - ناظر الخواص - من المساعدين في مآربه ، والقاهرين لمن يلتمس خفق جانبه لكثرة ما كان يجلبه له ، ويحله مما يتعول فيه عليه بحيث إنه في سنة أربع وخمسين روفع بكونه أخذ أنقاض مسجد قديم فنقلها وبنى بها جامعاً بحماه ، ورسم بعقد مجلس بين يدي السلطان بحضرة القضاة ، فعقد في يوم السبت خامس عشري شهر ربيع الأول من السنة ، فلم يقع البيان على ذلك .

وخدم بمال كبير حتى ألبس خلعة الاستمرار ، بعد الترسيم عليه ، ولولا عناية المشار إليه به لكان غير ذلك ". (٥٢)

وتعليق " عبد الباسط الحنفي " لإقدام أمراء المماليك على الحج وبناء أو تجديد المدارس والجوامع في سلطنة جقمق قائلاً:

"... فكان عدة من حج في هذه السنة (٨٤٤ هـ) من الأمراء أربعة عشر أميراً ، لعل هذا لم يقع في دولة من الدول .

أقول : والسبب في إكثار هؤلاء من الحج التقرب إلى خواطر السلطان الظاهر بذلك ، لأنه كان يحب أن يشاع عنه وعن أتباعه التعبد وإظهار الديانات ، وكان يظهر حب من يتعبد ويحج وينقل الخير ، حتى أن جماعة كثيرة ممن فطن به بأنه يعجبه ذلك صار يتقرب إلى خواطره بأنواع كثيرة من العبادات ، كالحج وبناء المدارس والجوامع وتجديدها ، وتاب جماعة كثيرة ممن كان يرتكب أشياء قبل سلطنته ، وصار من له كنه من ذلك يظهر التوبة ويخفي ما يفعله حتى يرجف حين ارتكابه ذلك الفعل صغير الصافر ويخيفه خفق جناح الطائر ، كل ذلك لما كان يظهره هو - أعنى الظاهر - من العبادة والخير والزهادة ، والناس على دين مليكهم " . (٥٣)

وقوله معللاً لبقاء " الأشرف قايتباي " في السلطنة مع تهوره وجوره واعتسافه في تحصيل الأموال :

"... جلس السلطان للعرض - أيضاً - بالحوش ، ثم استدعى بالجند واحداً بعد واحد ، وهو يفعل معهم مثل ما فعل بالأمس ، لكن كثر الدعاء عليه من المأخوذ منهم ، وتمنوا زواله وبقوا يودون قيام فتنة وثوران شر ، ويتمنون ذلك ويشوقون له ، ويأبى الله إلا ما أراد ، فإنه دام في سلطنته وعزه مستمراً إلى يومنا هذا ، بل تسلط عليهم بأنواع السلاطات حتى قهر الجميع وتملك وتمكن وأقام الممالك الكثيرة وضخم وعظم جداً ، فإنه جسر فكبر ، وما هاب فما خاب ، وجمع فأوعى ... ولعل ذلك لذهاب الرجال وذوى الهمم من أكابر الأمراء الذين كان يخشي من شرورهم وعزائمهم " . (٥٤)

سادساً - تقدير ما كان سوف يحدث لو لم يفعل ما حدث :

ومن ذلك قول " عبد الباسط الحنفي " مترجماً قائم من صفر خجا :
"... فضخم جداً وعظم إلى الغاية حتى تحدث الناس بوثوبه على الأمر لما رأوا من عظمته ، وإلا ما كان يفعل ذلك في حياة خشقدم - والله يعلم - لكونه

كان هو السبب في عظمته ، وإنما ذلك من حدس للناس في مثل ذلك تتاله العظمة
نعم لو عاش بعده لكان هو السلطان ، مع إرادة الله - تعالى - ذلك " .^(٥٥)

سابعاً - السخرية من التصرف في بعض الحوادث :
كنحو قول " ابن حجر العسقلاني " وقد أخذ المغول الأموال المحفوظة في
قلعه حلب :

"... وامتدت الأيدي لنهب أموال الناس التي حصلت بالقلعة لظن أصحابها
أنها تسلم ، فكأنهم جمعوا ذلك للعدو حتى لا يتعب في تحصيلها " .^(٥٦)

وقول " ابن تغري بردي " في حوادث سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة:
"... وفي يوم السبت عاشره ، أمر السلطان بنفي قاضي القضاة علم الدين
صالح البلقيني إلى القدس ، فتكلم في أمره بعض أرباب الدولة ، فرسم السلطان له
بأن يقيم في داره بطلاً ، ثم بعد ذلك أمر بالترسيم عليه ونفيه إلى طرسوس ،
فشفع فيه فرسم بتوجهه على القدس ، وأخذ في عمل مصالحه .

ولما وقع ذلك اتفق أن بعض الأعيان سألني - فيما بيني وبينه - بأن قال :
هل سمعتم بأن قاضي القضاة ينفي إلى طرسوس ؟! فقلت له : ما نعلم إلا أن
قضاة القضاة يحبسون بالمقشرة مع أرباب الجرائم ، أعني بذلك ما وقع للسفطي
قبل تاريخه ، فضحك لذلك من حضرنا من الجلساء " .^(٥٧)

ثامناً :- وصف بعض الحوادث بالشناعة والقبح ، أو بالحسن :
كنحو قول ابن الفرات : "... وفي صفر - الشهر المذكور - رتب القاضي
نجم الدين الطنبدي محتسب القاهرة المحروسة جماعة من الفقهاء ، في كل سوق
من أبواب القاهرة وظواهرها فقيه ، يعلم التجار وأصحاب الصنائع والمتعيشين
سورة الفاتحة وغيرها من السور ، ليقرءوا ذلك ، وجعل لكل فقيه على كل من
يعلمه فلسين جدد ، وهذا ترتيب حسن لا بأس به " .^(٥٨)

وقول المقرئ في معرض حديثه عن كنائس النصارى ، وقد حدث ما نسميه اليوم بالفتنة الطائفية ، التي راح ضحيتها العديد من الكنائس والمساجد ، وغيرهما :

" ولم يسمع بأشنع من هذه الكائنة . فإنه احترق على يد النصارى بالقاهرة ربع في سوق الشوائين ، وزقاق العريسة بحارة الدليم ، وستة عشر بيتاً بجوار بيت كريم الدين ، وعدة أماكن بحارة الروم ، ودار بهادر بجوار المشهد الحسيني ، وأماكن باصطبل الطارق ، وبدر العسل ، وقصر أمير سلاح ، وقصر سلار بخط بين القصرين ، وقصر بيسري ، وخان الحجر والجمالون ، وقيسارية الأدم ، ودار ببيرس بحارة الصالحية ، ودار ابن المغربي بحارة زويلة ، وعدة أماكن بخط بئر الوطاويط وبالحكر وفي قلعة الجبل ، وفي كثير من الجوامع والمساجد إلى غير ذلك من الأماكن بمصر والقاهرة ، يطول عددها .

وخرب من الكنائس كنيسة بخرائب التتر من قلعة الجبل وكنيسة الزهري في الموضع الذي فيه - الآن - البركة الناصرية وكنيسة الحمراء ، وكنيسة بجوار السبع سقايات ، تعرف بكنيسة البنات ، وكنيسة أبي المنيا ، وكنيسة الفهادين بالقاهرة ، وكنيسة بحارة الروم ، وكنيسة بالبندقانيين ، وكنيستين بحارة زويلة ، وكنيسة بخزانة البنود ، وكنيسة بالخندق ، وأربع كنائس بثغر الإسكندرية ، وكنيستين بمدينة دمنهور الوحش ، وأربع كنائس بالغربية ، وثلاث كنائس بالشرقية ، وست كنائس بالبهنساوية ، وبأسيوط ومنفلوط ومنية الخصيب ثمان كنائس ، وبقوص وأسوان إحدى عشرة كنيسة وبالأطفحية كنيسة وبسوق وردان من مدينة مصر وبالمصاصة وقصر الشمع من مصر ثمان كنائس ، وخرب من الديارات شيء كثير ، وأقام دير البغل ودير شهران مدة ليس فيهما أحد .

وكانت هذه الخطوب الجلييلة في مدة يسيرة ، قلما يقع مثلها في الأزمان المتطاولة ، هلك فيها من الأنفس ، وتلف فيها من الأموال ، وخرب من الأماكن ، ما لا يمكن وصفه لكثرة وثله عاقبة الأمور " . (٥٩)

وهكذا ، فإن المقريري قابل خسائر المسلمين بخسائر النصارى ، معدداً بأمانة كلاً منها ، وقد اعتبر الجميع " خطوباً جليلاً " ، مما يشير إلى أن الشناعة لا تصاحب جانباً دون غيره ، وفي هذا ما يشير إلى التزام ديني مدرك لأهمية الخطب الجلل ، المستهدف للطائفتين معاً ، وبالتالي يشير إلى نزاهة صاحبه وعدم تعصبه .

ومنه قول ابن حجر العسقلاني في حوادث سنة ثمان وسبعين وسبعمائة بشأن إبطال السلطان " الأشرف شعبان " لضمان المغاني : "... وكان ضمان المغاني من القبائح الشنيعة " (٦٠)

وقوله في حوادث سنة ست وثمانمائة بشأن تكالب " العلاء ابن أبي البقاء " على المنصب وبذله فيه للسلطان ووصول مرسوم السلطان إلى النائب بقبض المبلغ المبذول " ... وكانت هذه الكائنة من أقبح ما نقل " (٦١) . والقبح هنا ليس في البذل في حد ذاته ، لأن المبذول كان بنص ابن حجر " مائتي ألف درهم ، وهي التي جرت عادة القضاة بدمشق ببذلها للسلطان " (٦٢) ، لكن القبح في أن يكون تحصيل السلطان لها بمرسوم يصدر إلى نائب دمشق لينعم بها على " إينال حطب " الذي كاتب - بدوره - ناظر الجيش بأن يقبضها ويشتري بها أمتعة ، ثم إن القبح المنسوب إليها راجع - كذلك - إلى التنافس على هذا المنصب المبذول فيه من كل من العلاء ابن أبي البقاء وخطيب بعرين ، ناهيك عن سعي كل من الحصناوي وابن العديم في المنصب ، والخط من الثاني عليه .

تاسعاً:- الحكم على بعض الحوادث بالتفرد في بابها ، أو بنسبتها إلى الأولية :
كنحو قول ابن حجر العسقلاني " في حوادث سنة ست وسبعين و سبعمائة :
" ... وفيها ولي سري الدين أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عمر الأندلسي المالكي قضاء حلب ، وهو أول مالكي قضى بها " . (٦٣)

وقوله في حوادث سنة عشر وثمانمائة ، بشأن تبذل السلطان وتوجهه بملابس جلوسه إلى عيادة بعضهم أو زيارة غيره :

"... وكان عهد الناس بعد بعداً شديداً من سلطان يفعل مثل هذا التبذل ، ولم يعرف أن ذلك وقع لملك من ملوك مصر قبله ، وقد تبعه على ذلك من جاء بعده " . (٦٤)

عاشراً :- الكشف عن مواطن العبرة والعظة في الحوادث :

كنحو قول " ابن الفرات " معقياً على طواعين مصر وفتن الشام :
"... وكان قد اجتمع في أهل مصر وعسكرها في هذا الشهر الطاعون بمصر والطنين بالشام ، فكان كما قيل :
من لم يمت بالسيف مات بغيره " . (٦٥)

وتعقبه على ما تردد من أن " النور الحاضري " قال لصديقه " الحسام الكوراني " - والى القاهرة - وقد ذكر اسم برقوق : " إن كتبه تأتي إلى جماعة بالقاهرة ، وتعود أجوبتها " ، ونمه عنه لمنطاش ، الذي استجوبه ، فلما أنكر معرفته بذلك ضرب وعصر حتى أشرف على الموت ، ثم حبس ، قائلاً :
" ... هذا فائدة كثرة الفضول فيما لا يغني الإنسان ، ما أحسن قول القائل :
معاداة العاقل ولا مصاحبة الجاهل " . (٦٦)

وقول " المقرئزي " مترجماً لعلاء الدين آقبا بن عبد الواحد وكان على جانب كبير من الظلم والطمع والتعاضم ، وقد قبض عليه من دمشق ، وأرسل إلى الإسكندرية مقيداً ليقتل بها :

" ... ومن غريب ما يحكي عن طمع آقبا ، أن مشد الحاشية دخل عليه ، وفي إصبعه خاتم بفص أحمر من زجاج له بريق فقال آقبا : إيش هو هذا الخاتم ؟ فأخذ يعظمه ، وذكر أنه من تركة أبيه ، فقال : بكم حسبوه عليك ؟ فقال : بأربعمائة درهم . فقال أرنيه . فناوله إياه ، فأخذه وتشاغل عنه ساعة ، ثم قال له : والله ، فضيحة أن نأخذ خاتمك ، ولكن خذه أنت وهات ثمنه ! ودفعه إليه ، وألزمه بإحضار الأربعمائة درهم ، فما وسعه إلا أن أحضرها إليه . فعاقبه الله بذهاب ماله وغيره ، وموته غريباً " (٦٧)

وقوله في سوق الدجاجين :

"... وكان يوجد في كل وقت بهذه الحوانيت من الأقفاص التي بها هذه العصافير آلاف ، ويباع بهذا السوق عدة أنواع من الطير ، وفي كل جمعة يباع فيه بكرة أصناف القماري والهزارات والشحارير والبيغاء والسمان ... كل ذلك لإعجابهم بصوته ، وكان صوته على وزن قول القائل : طقطق وعوع ، وكلما كثر صياحه كانت المغالاة في ثمنه .

فاعتبر بما قصصته عليك حال الترف الذي كان فيه أهل مصر ، ولا تتخذ حكاية ذلك هزواً تسخر به ، فتكون ممن لا تنفعه المواعظ ، بل يمر بالآيات معرضاً غافلاً فتحرم الخير ". (٦٨)

وقوله مترجماً للمظفر أحمد :

"... فلما مات ططر وقام بالأمر بعده الأمير برسباي ، ثم تسلطن ، أخرج المظفر وأخاه من القلعة في سادس عشر شعبان سنة خمس وعشرين ، وحملهما في النيل إلى الإسكندرية ، وكان في ذلك عبرة ، فإن المؤيد أخرج أولاد الناصر فرج إلى الإسكندرية ، فأخرج الله أولاده من بعده إلى الإسكندرية ، و مازالا بها حتى ماتا... ولم يبق للمؤيد بعدهما سوى بنات - فقط - وانقطع عقبه " (٦٩)

وهكذا ، فإن موطن العبرة لا يكمن - فقط - في المعاملة بالمثل على سبيل القصاص ، وإنما يكمن - كذلك - في انقطاع العقب ، وتلك نتيجة مخوفة وراذعه لمن يقدم على اقتراف ما اقترف ، خاصة وأن هذا القصاص كان قصاصاً معجلاً ، على نحو ما يوحى به حرف العطف " الفاء " ، وكان بتدبير سلطان لا يحابي ، على النحو المدرك من قوله : " فأخرج الله أولاده من بعده " .

وقول " السخاوي " مترجماً ناصر الدين ابن العديم :

"... ولما رجع من الحج ، أعيد بعد أزيد من سبعة أشهر ... إلى القضاء ، بعد موت ابن الأدمي ، وسار في كلا الولايتين سيرة غير مرضية ، فإنه كان

يراشي أهل الدولة ونحوهم بأوقاف الحنفية ، فيؤجرها لمن لا خطر له منهم على مال بأبخص أجرة ، ليتوصل بذلك إلى مقاصده ، حتى كادت تخرب ، ولو دام قليلاً لخربت كلها ، مع كثرة وقيعته في العلماء ، وقلة مبالاته بأمر الدين ، وكثرة التظاهر بالمعاصي ، ولا سيما الربا ، بل كان سيء المعاملة جداً ، أحمق أهوج مشهوراً ، سيئة من سيئات الدهر ... ولما وقع الطاعون في سنة تسع عشرة ذعر منه ذعراً شديداً ، وصار دأبه أن يستوصف ما يدفعه ، ويستكثر من ذلك أدوية وأدعية ورقى ، ثم تمارض حتى لا يشاهد ميتاً ، ولا يدعى إلى جنازة لشدة خوفه من الموت ، فقد الله - تعالى - أنه سلم من الطاعون ، وابتلّى بالقولنج الصفراوي ، فاشتد خطبه به ومات ... ألحق الله به من هو على نمطه وطريقته ، خصوصاً شباب أهل مذهبه ، وذوي جرأته ، ممن لم يرتق لفضيلته ومرتبته ، آمين ، آمين ، آمين . (٧٠)

وهكذا ، فإنه جرح مترجمه ، بالكشف عن مفسده ، وسوء سيرته ، وتهتكه في الدين ، مبيناً حرصه على الدنيا وخوفه من الموت - ربما لما يعلمه في قراره نفسه من سوء السيرة وإمهال الله - تعالى - له في تحقيق أمنيته ، ليأخذه بما هو أشد وأنكى ، كشفاً عن العبرة والعظة ، ثم هو ملح في الدعاء على من كان على شاكلته بالتعرض لمصيره ، ربما ردعاً له .

حادي عشر :- الإفصاح عن العاطفة تجاه بعض الحوادث:

ومن ذلك ما تردد لدى " ابن الفرات " في تاريخه من عاطفة دينية قوية ، مجلة للسلطنة ، متأسفة لما يصيب المسلمين من انقسام الكلمة في الداخل ، ولما يلحق بهم الأعداء من هزائم ، داعية لجيوش الإسلام بالنصرة ، وللمسلمين باجتماع الكلمة وصلاح الأمور ، ولجيوش أعدائهم بالخذلان و اللعنة ، ولملوكهم بتعجيل الهلاك .

ومنه قوله في أحداث الفتنة " المنطاشية " سنة ٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م وقد حضر القضاة الأربعة إلى مشهد السيدة نفيسة لقراءة تقليد ابن الخليفة بولاية النظر عليه:

"... وشاع أن القضاة بعد الفراغ من قراءة تقليد ابن الخليفة مضوا إلى المكان الذي به آثار سيدنا ونبينا محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بظاهر مصر المحروسة ، وقرعوا هناك صحيح البخاري ، ودعوا الله - عز وجل - بالنصر للسلطان وعسكره ، فأنه - تعالى - يحسن العاقبة ، ويؤلف الكلمة ، ويصلح أحوال المسلمين ، فإنهم في ضيق عظيم بسبب هذه الفتنة التي لم نر مثلاً في زماننا ، فإننا لله وإنا إليه راجعون " .^(٧١).

وقوله في خروج الأمراء مطلبين لملاقاة الخارجين على " الظاهر برقوق " في الشام :

"... ثم خرج بعد طلب الأمير جركس طلب المماليك السلطانية والكوسات والصناجق الخليفة والعصائب السلطانية ، وكان عليهم من الهيبة والوقار ما أقشعرت منه الجلود ، وحصل لي أسف عظيم ، حيث رأيت هذه الأطلاب كيف لم يكن خروجها لجهاد الكفار ونصرة دين الملك القهار ، فإننا لله وإنا إليه راجعون " .^(٧٢)

وقوله وقد أخذ الفرنج جربة:

"... وفي هذا اليوم أشيع أن وردت الأخبار إلى الملك الظاهر بأن الفرنج - خذلهم الله تعالى - أخذوا جزيرة جربة من المسلمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " .^(٧٣)

وإقران لفظتي " الفرنج " ^(٧٤) و " التتر " ^(٧٥) لديه - في غير موضع - بقوله:

" لعن الله من مضى منهم ، وخذل من بقي فيهم " ونعته كبار شخصيات الفرنج باللعن ، كنحو قوله :
" اللعين ملك الألمان " ^(٧٦) ، " اللعين مري " ^(٧٧) ، " ملك الانكليز لعنه الله " ^(٧٨) ، " اللعين ابن لاون " ^(٧٩) .

فضلاً عن الدعاء عليهم بالهلاك ، كنحو قوله :

"... فعن لملك الألمان أن يسبح في النهر ، فسبح ، فعرض له مرض شديد ، أداه إلى الموت ، عجل الله بروحه إلى النار وأراح المسلمين منه " (٨٠) ويتمثل ذلك - كذلك - لدى " الدميري " في عبارات الترضي المصاحبة لبعضهم ، مع مقابلتها بالدعاء على قاتليهم ، أو لعنهم ، كنحو قوله في قتل عثمان : " ... قتلوه قاتلهم الله " (٨١) ، على حين اقترن ذكر عثمان لديه بقوله : " رضي الله - تعالى - عنه " (٨٢)

وقوله في " الحجاج بن يوسف الثقفي " قاتل " عبد الله بن الزبير " : " ... فأمر اللعين الحجاج - أخزاه الله وقبحه - بصلب جسده " (٨٣) ، على حين اقترن اسم " عبد الله بن الزبير " لديه بقوله : " رضي الله - تعالى - عنه " . (٨٤)

وكذا ما تكشف من عاطفة " المقرئ " في الخطط وهي عاطفة قوية ، مجلدة لموطنه مصر ، متحسرة في مواضع حزينة في أخرى ، باكية في غيرها ، لما يصيبها من خراب أو اتضاع .

ومن ذلك تحسره لما درس من عادات مصر ورسومها ، على النحو المدرك من قوله في الحمام الرسائلي : " ... قد بطل الحمام من سائر المملكة إلا ما ينقل من قطيا إلى بلبيس ، ومن بلبيس إلى قلعة الجبل ، ولا تسلم بعد ذلك عن شيء ، وكأنني بهذا القدر قد ذهب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " . (٨٥)

وحزنه لما حل بسوق بين القصرين على عهده ، كما هو مصرح به في قوله :

"... هذا السوق أعظم أسواق الدنيا فيما بلغنا ، وكان في الدولة الفاطمية براحاً واسعاً يقف فيه عشرة آلاف ما بين فارس وراجل ثم لما زالت الدولة ابتدل وصار سوقاً يعجز الوصف عن حكاية ما كان فيه - وقد تقدم ذكره في الخطط من هذا - وفيه إلى الآن بقية تحزنني رؤيتها إذ صارت إلى هذه القلة " . (٨٦)

وبكائه لما حل بكوم الريش من خراب ، بعد أن كانت بلدة عامرة ، كما هو مدرك من قوله:

" ... وما برحت على ذلك إلى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة ، فطرقها أنواع الرزايا حتى صارت بلاقع وجهلت طرقها ، وتغيرت معاهدها ، ونزل بها من الوحشة ما أبكاني ، وأنشدت في رؤيتها عندما شاهدها خراباً :
قفراً كأنك لم تكن تلهو بها في نعمة وأوانس أتراب

{ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد }^{٨٧}
(١٠٢ : هود).

ثاني عشر : - تقويم الشخصيات المترجم لها :

وفي هذا العنصر من عناصر النقد التاريخي يعمد المؤرخ إلى جرح مترجميه أو تعديلهم ، بإصدار أحكام عليهم أو لهم استناداً إلى ما يدرك من تصرفاتهم أو يعرف من آثارهم .

ومن أمثلة ذلك قول " المقريري " مترجماً لأطنبغا شقل :

"... وكان شقل هذا من أهل الشر والفتن ، وهو أكبر أسباب الفتن التي كانت بين الناصر وشيخ حتى زالت دولة الناصر وقتل " .^(٨٨)

وقوله مترجماً للشهاب الباعوني :

"... وكان رجلاً طوالاً ، مهاباً عليه خفر ، وله منطق فصيح وعبرة عذبة ، وقدرة على سرعة النظم وارتجال الخطب ، مع جميل المحاضرة ، وحسن المذاكر ، وكثرة الفوائد ، وسرعة البكاء خشية وخشوعاً عندما يذكر بالمواعظ ، مع العفة عن التدنس بشيء من الفواحش ، والصيانة من تناول مال الأوقاف بغير حق وأخذ البراطيل ، إلا أنه شديد الإعجاب بنفسه ، وثابت في أمره لا يتزحزح عما يقوم فيه ، ولا يقبل في ولايته وسباطة أمير ولا كبير ، ولا يحابي في أحكامه أحداً ، وكثر لذلك حساده وعداه ، وكثرت شناعاتهم عليه بما ليس فيه ، فلقد صحبني بدمشق ، وقل يوم لا يأتيني فيه ، وكثر اجتماعنا ، فلم أر فيه ما أنكره عليه سوى طلبه للوظائف وسعيه فيها ، مع أنه صاحب عيال ، وليس له مال ، فكنت أريد منه أن يتخل عن السعي ليكون قوله وفعله متوافقين ، فإنه كان يتكلم في أكثر مجالسه بكلام الزهاد ويخالف ذلك بسعيه إلى أبواب الأمراء وأعيان الدولة وذوى الجاهات ، وبطلب الوظائف ، وأي الرجال المهذب ؟! وبالجمل فلفقد كان - والله أعلم - خيراً ممن يتكلم فيه ، فقد خبرت القوم وعرفتهم " .^(٨٩)

وهكذا ، فقد أصدر " المقريري " حكماً على مترجميه في هذين المثالين ، جارحاً لأولهما ، معدلاً لثانيهما ، بغية إنصافه من شائئيه.

بينما نجده في المثال التالي ، الوارد في ترجمته للنظام الأصبهاني يحكم له
بعلو الهمة استنتاجاً مما خلفه من آثار قائلاً:

"... وعمر خانقاه بالقرب من قلعة الجبل على شرف ، تدل عمارتها على
علو همته " . (٩٠)

ومنه - أيضاً - قول " عبد الباسط الحنفي " في بعض مترجميه :

"... كان مشكور السيرة ، حسن السميت " (٩١) ، أو " ... كان لا بأس به " (٩٢)

- أو " ... كان غير مشكور السيرة ، بل ولا السريرة " (٩٣) ، أو : " كان مهملاً ،
غير مشكور السيرة ، من مساوئ الدهر وقبائحه ، مسرفاً على نفسه ، منهمكاً في
اللذات " (٩٤) ، أو : " وهو شيطان في صفة إنسان ، يغتر به من سمعه يتكلم ،
وهو كذوب مدلس ، غير محمود " (٩٥) ، أو " ... كان ينسب إلى رقة دين " . (٩٦)

ثالث عشر :- نقد الروايات التاريخية:

كما لم يتقبل هؤلاء المؤرخون في معظمهم كل ما أمدتهم به مصادرهم من
الروايات التاريخية على أنها من قبيل المسلمات التي لا يمكن ردها أو مناقشتها ،
وإنما كانوا يستخدمون عقولهم في مناقشتها ، ويستخدمون حسهم التأريخي في
نقدها .

ومن ذلك قول " ابن حجر العسقلاني " في حوادث سنة ست وتسعين
وسبعمائة بخصوص تبليغ إحدى البشارات للظاهر برقوق :

"... وخرج إلى السلطان - وهو معسكر بظاهر القاهرة - شخص يقال (له)

: أحمد بن عباس الحريري ، فذكر له أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم -
في المنام ، وأنه قال له : روح إلى برقوق وقل له إنك منصور بأمانة أنك تقرأ
الفاتحة على أصابعك العشرة عشر مرات عند الركوب ، ثم تقول : { إن ينصركم
الله فلا غالب لكم } فصدق البشارة وبكي ، وأمر للرائي بمال فلم يقبل منه إلا
نزرأ يسيراً.

والذي يظهر لي كذب هذا الرائي ، وكأنه بلغ الأمانة من بعض خواص السلطان المطلعين على سره ، وإلا فلو كان صادقاً لكان قد انتصر ، والواقع أنه لم يقع له قتال مع أحد " . (٩٧)

وقول " الدميري " معقياً على " ابن عساكر " من خلال ترجمة الوليد بن عبد الملك :

"... وقوله : إن الوليد بن قبة الصخرة فيه نظر، وإنما بني قبة الصخرة عبد الملك بن مروان ، في أيام فتنة ابن الزبير ، لما منع عبد الملك أهل الشام من الحج خوفاً من أن يأخذ منهم ابن الزبير البيعة له ، فكان الناس يقفون يوم عرفة بقبة الصخرة إلى أن قتل ابن الزبير ... ولعلها تشعنت فهدمها الوليد وبنّاها " . (٩٨)

وقوله مترجماً " إبراهيم بن الوليد " ، وقد تردد في بعض المصادر قتل " مروان بن محمد " له وصلبه :

"... وفي هذا نظر ، لأن مروان بن محمد بن مروان الحمار لما سمع بمبايعته - وكان نائباً على أنريجان وتلك النواحي ، وصاحب الفتوحات - سار لحينه ودعا إلى نفسه ، وقدم الشام فجهز له إبراهيم بن الوليد أخويه بشراً ومسروراً ، فالتقوا وانتصر عليهم مروان ، فزحف ونزل مرج عذراء ، فبرز إلي سليمان بن هشام بن عبد الملك فانكسر ، فبرز إليه الخليفة إبراهيم بن الوليد وعسكر بظاهر دمشق ، فخذله جنده وخامروا عليه بعد أن أنفق عليهم الخزائن ، فاختلفي أمره ، فبايع الناس مروان واستوثق له الأمر ، فظهر إبراهيم ودخل عليه ، ونزل عن الخلافة " . (٩٩)

وقول " المقرئ " في معرض حديثه عن قرية الخندق :

"... وقال أبو الفرج على بن الحسين الأصبهاني في كتاب الأغاني الكبير : عن الرياشي إنه قال عن سكين بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام : إن أبا عذرتها عبد الله بن الحسين بن علي ، ثم خلفه عليها العثماني ، ثم مصعب بن الزبير ، ثم الأصبع بن عبد العزيز بن مروان قال : وكان يتولي

مصر ، فكتبت إليه سكينه : إن مصر أرض وخمة ، فبني لها مدينة تسمى بمدينة الأصبع ، وبلغ عبد الملك تزوجه إياها نفس بها عليه ، وكتب إليه : اختر مصر أو سكينه ، فبعث إليه بطلاقها ، ولم يدخل بها ، ومتعها بعشرين ألف دينار : قلت : في هذا الخبر أوهام :

منها أن الأصبع لم يل مصر ، وإنما كان مع أبيه عبد العزيز بن مروان . ومنها أن الذي بناه الأصبع لسكينه منية الأصبع هذه ، وليست مدينة . ومنها أن الأصبع لم يطلق سكينه ، وإنما مات عنها قبل أن يدخل بها . (١٠٠)

وقوله في الحارة اليانسية:

"... قال ابن عبد الظاهر : اليانسية خارج باب زويلة أظنها منسوبة ليانس وزير الحافظ لدين الله ، الملقب بأمير الجيوش سيف الإسلام ، ويعرف بيانس الفاصد ، وكان أرمني الجنس وسمي الفاصد ، لأنه فصد الأمير حسن ابن الحافظ ، وتركه محلولاً فصاده حتى مات . وله خبر غريب في وفاته ... فاتفق ليانس - المذكور - أن مرض بزحير - وأن الحافظ خاطب الطبيب بذلك ، فقال : يا مولاي ، قد أمكنتك الفرصة ، وبلغت مقصودك ، ولولا أن مولانا عاده في هذه المرضة اكتسب حسن أحواله ، وهذه المرضة ليس دواؤه منها إلا الدعة والسكون ، ولا شيء أضر عليه من الانزعاج والحركة..."

وهذا الخبر فيه أوهام :

منها أنه جعل اليانسية منسوبة ليانس الوزير ، وقد كانت اليانسية قبل يانس هذا بمدة طويلة.

ومنها أنه ادعى أن حسن ابن الحافظ مات من فصاده ، وليس كذلك ، وإنما مات مسموماً .

ومنها أنه زعم أن يانس تولى فصاده ، وليس كذلك ، بل الذي تولى قتله بالسم أبو سعيد ابن فرقة.

ومنها أن الذي نَقَم عليه الحافظ من الأمراء فخانته في ابنه الحسن ، إنما هو الأمير المعظم جلال الدين محمد المعروف بجلب راغب .

وهذا نص الخبر ، فنزه بالك ، والله - تعالى - أعلم " . (١٠١)

وقوله في معرض الحديث عن المدرسة السيوفية :

"... وقد وهم القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر فإنه قال في كتابه

الروضة الزاهرة في خطط المعزية القاهرة: مدرسة السيوفية ، وهي للحنفية ، وقفها عز الدين فرخشاه قريب صلاح الدين .

وما أدري كيف وقع له هذا الوهم ؟ فإن كتاب وقفها موجود قد وقفت عليه ، ولخصت منه ما ذكرته ، وفيه أن واقفها السلطان صلاح الدين ، وخطه على كتاب الوقف " . (١٠٢)

وقول " ابن تغري بردي " معقباً على قول " النووي " في بقاء " الخضر " - عليه السلام حياً:

"... انتهى كلام الشيخ محيي الدين النووي برمته ، ولم يتعرض ... بنقل يجرح ما تقدم ، وإنما أورده أقوالاً غالبها : قيل ، ويقال . وليس في هذا دليل قطعي بحياته ، بل ولا عقلي " . (١٠٣)

وقول " عبد الباسط الحنفي " مترجماً " كزل العجمي " وقد حط عليه " البدر العيني " في عقد الجمان:

"... أقول : رحم الله البدر ، فإنه ما أنصف ، ولا يخل كلامه من التحامل في هذا الرجل الجليل القدر ... وهو مشهور على كل حال مترجم على لسان الحافظ ابن حجر وغيره ، ممن شهر بالحفظ والعلم " . (١٠٤)

وهكذا ، فلقد تعددت لدى هؤلاء المؤرخين جوانب النقد التاريخي ، وتباينت عناصره وتنوعت ، نشداناً للنصفة وابتغاء الحق .. حيث كانوا مصيبين في كثير من هذه الجوانب ، لكن إصابة النقد لم تكن دائماً ، إذ ربما وقع لبعضهم الخطأ في النقد ، على النحو الوارد في تعصب بعض المتعاصرين منهم - كابن تغري

بردي ، والسخاوي ، وعبد الباسط الحفنى - على بعضهم البعض ، بكثير من
العبارات القاذحة ، مما يحتاج إلى مناقشة وتحليل في بحث آخر مستقل .
والله ولى التوفيق .

الحواشي

(١) مؤلف لطيف الحجم ، فرغ مؤلفه من تدوينه " ضحى يوم الثلاثاء ، ثامن رجب سنة ٨٦٧ هـ / ١٤٦٣ م ، مرتباً له على مقدمة اشتملت على : الإشادة بفوائد علم التاريخ ، ودافعه إلى تأليف الكتاب ، وعنوان الكتاب ، وتنظيم مادته ، والغرض من تأليفه " وثلاثة أبواب ، أولها في " مبادئ علم التاريخ " ، وثانيها في " أصول علم التاريخ ومسائله " ، وثالثها في " بيان شرف أهل العلم ، وفي فضل العلم ، وفي بيان ما يفيد التنكير والاعتبار " .
ويلحظ أن هذا المؤلف كان سبباً في بروز المؤلفين التاليين لكون مؤلفه أستاذاً لهما .

راجع : الكافيجي . المختصر في علم التاريخ - مخط . دار الكتب المصرية ، ذات الرقم ٥٢٨ - تاريخ .

(٢) هو " محيي الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود ، الرومي - الحفني ، عرف بالكافيجي نسبة إلى كافية ابن الحاجب التي كان يكثر من قراءتها وإقرائها في بلاد الروم قبل التسعين وسبعمائة للهجرة (ت ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م) .

(٣) مؤلف في تاريخ التاريخ وبيان منهجه وموضوعه ، فرغ السخاوى من تبليغه في مكة سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م مرتباً له على مقدمة (أشار فيها إلى دافعه إلى تأليفه ، وتنظيمه ومحتواه) ، ومباحث متداخلة في نقاط عشر - أتت استرسالاً دون فصل - وهى : التاريخ (أو التورخ) لغة ، موضوعه ، فوائده ، حكمه ، حجج الداميين له ، الشروط الواجب توافرها في المؤرخ ، الأمر بالتاريخ الهجري ، أربع قوائم صنف السخاوى التاريخ من خلالها على الموضوعات أو المؤرخين على الحروف ، مذكلاً ذلك ببعض المقطوعات الشعرية المادحة للتاريخ وللبعض المؤرخين . راجع : السخاوى . الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ . ت . فرانز روزنثال (ضمن مؤلف : علم التاريخ عند المسلمين . تر . صالح أحمد العلى) بيروت ، الرسالة ١٩٨٣ ، ص ٣٨١ - ٧٢٥ .

(٤) هو " شمس الدين ، أبو الخير وأبو عبد الله ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي - الشافعي " ، (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م).

(٥) مؤلف لطيف الحجم ، اشتمل على مقدمة (أبان فيها عن دافعه إلى تأليف الكتاب ، وتسميته له) أتبعته بثلاثة أبواب ، أولها في التعريف بمبدأ التاريخ ، معللاً لجعل المحرم مبتدأ السنة الهجرية ، وثانيها في بيان فوائد علم التاريخ ، وثالثها في العلة في التأريخ بالأشهر الهلالية دون الشمسية ، والاقتصار في التأريخ على الليالي دون الأيام ، وصيغ تدوين التأريخ .
راجع : السيوطي . شماريخ في علم التأريخ . ت. د. إبراهيم السامرائي . بغداد ، ١٩٧١ .

(٦) هو " جلال الدين ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق السيوطي " (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) .

(٧) هو " صام الدين ، إبراهيم بن محمد بن أيمن العلاني " (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م) .

(٨) ابن دقماق . الجوهر الثمين في سير الملوك والسلطين (مخط . حكيم أوغلي - تركيا برقم ٧٣٧) ق ٦٠ أ .
(٩) نفسه ق ٥٩ أ .

(١٠) نفسه ق ٦٠ ب .

(١١) نفسه ق ٦١ ب .

(١٢) ويلحظ أن ناسخي (مخط . دار الكتب المصرية ذات الرقم ٢ ١٤٩ - تاريخ ، تيمور ، وأحمد الثالث - تركيا ، ذات الرقم ٢٩٠٣) قد استدركا ترجمته ، مع العمد إلى تعديل الترتيب ، فأنت في متن الأولى وفي حاشية الثانية .

(١٣) هو " زين الدين ، أبو المكارم ، عبد الباسط بن خليل بن شاهين ، الملطي ، الحنفي " (ت ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م) .

- (١٤) عبد الباسط الحنفي . نزهة الأساطين - فيمن ولى مصر من السلاطين
(مخط . أحمد الثالث - تركيا ، ذات الرقم ٢٨٠٣ / ٢) ق ٥٧ أ.
- (١٥) راجع : ابن دقماق . الجواهر الثمين ج ٢ ص ٤٧ - ٤٨ .
- (١٦) عبد الباسط الحنفي . المصدر السابق ق ٥٦ ب .
- (١٧) نفسه ق ٦٧ ب .
- (١٨) هو " كمال الدين ، أبو البقاء ، محمد بن موسى بن عيسى بن علي
الدميري ، القاهري ، الشافعي " (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) .
- (١٩) الدميري . حياة الحيوان الكبرى . ج ١ ص ٨٩ .
- (٢٠) الطبري . التاريخ ج ٥ ص ٦١١ ، ابن عبد ربه . العقد الفريد ج ٤
ص ٣٩٨ .
- (٢١) هو " بدر الدين ، أبو عبد الله ، محمد عبد الله بن بهادر الزركشى
(نسبة إلى الاشتغال بصناعة الزركش) ، الشافعي " (ت
٧٩٤ هـ / ١٣٩٢ م) .
- (٢٢) الزركشى . عقود الجمان على وفيات الأعيان (مخط . مكتبة الفاتح -
تركيا ، ذات الرقم ٤٤٣٥) ق ٦٥ أ .
- (٢٣) ابن شاکر الكتبي . فوات الوفيات ج ١ ص ١٥٥ .
- (٢٤) الزركشى . المصدر السابق ق ٩٨ أ .
- (٢٥) ابن شاکر الكتبي . المصدر السابق ج ١ ص ٣٥٨ .
- (٢٦) هو " شهاب الدين ، أبو الفضل ، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن
علي بن محمود بن أحمد ، المعروف بابن حجر ، الكنانى ، العسقلانى "
(ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) .
- (٢٧) ابن حجر . إنباء الغمر بأنبياء العمر ج ١ ص ٢١٦ .
- (٢٨) نفسه ج ١ ص ٣٧٣ .
- (٢٩) هو " جمال الدين ، أبو المحاسن ، يوسف بن تغرى بردى بن عبد الله
البشباغوى ، الأتابكى " (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) .

(٣٠) ابن تغري بردى . البحر الزاخر في علم الأول والآخر (مخط. دار

الكتب المصرية ، ذات الرقم ٨٠٧٥ ح) ج ٣ ق ١٠٥ .

(٣١) نفسه ج ٣ ق ١٢٥ - ١٢٦ .

(٣٢) نفسه ج ٣ ق ١٣٢ .

(٣٣) هو " تقي الدين ، أبو محمد ، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن

إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن أبي الحسن بن عبد الصمد بن

تميم المقرئزي ، الشافعي " (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) .

(٣٤) المقرئزي . الخطط ج ١ ص ٤٠٣ .

(٣٥) نفسه ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٣٦) المقرئزي . درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة (مخط .

جيبته - ألمانيا ، ذات الرقم ٢١٣) ق ٨٧ أ .

(٣٧) عبد الباسط الحنفي . الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم (مخط .

الفاتيكان ، ذات الرقم ٧٢٨ ، وعنها مصورة دار الكتب المصرية ، ذات

الرقم ٢٤٠٣ - تيمور) ج ٣ ق ٩٣ أ .

(٣٨) نفسه ج ٣ ق ١٨ ب .

(٣٩) نفسه ج ٣ ق ١٢٥ أ

(٤٠) نفسه ج ٣ ق ٩٦ ب .

(٤١) نفسه ج ٣ ق ١٨٠ ب .

(٤٢) نفسه ج ٤ ق ٢١٨ .

(٤٣) المقرئزي . درر العقود الفريدة ق ١٣٧ ب .

(٤٤) المقرئزي . الخطط ج ٢ ص ٤٩ - ٥٠ .

(٤٥) نفسه ج ٢ ص ١٢٩ .

(٤٦) نفسه ج ٢ ص ١٨٧ .

(٤٧) هو " ناصر الدين ، محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن محمد

ابن عبد العزيز بن محمد - الحنفي " (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) .

(٤٨) ابن الفرات . التاريخ ج ٩ ص ٣٤ .

- (٤٩) الدميري . حياة الحيوان الكبرى ج ١ ص ٧٦ .
- (٥٠) ابن حجر . إنباء الغمر ج ١ ص ٢١١ .
- (٥١) نفسه ج ١ ص ٤٣٩ .
- (٥٢) السخاوى . الذيل على رفع الإصر (أو بغية العلماء والرواة) ص ١٢٤ - ١٢٥ .
- (٥٣) عبد الباسط الحنفي . الروض الباسم ج ١ ق ١٦ أ .
- (٥٤) نفسه ج ٤ ق ٢١٤ - ٢١٥ ب .
- (٥٥) نفسه ج ٣ ق ١٤١ ب .
- (٥٦) ابن حجر . إنباء الغمر ج ٢ ص ١٣٥ .
- (٥٧) ابن تغري بردي . حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور (مخط . آيا صوفيا - تركيا ، ذات الرقم ٣١٨٥) ج ١ ق ٩٦ .
- (٥٨) ابن الفرات . التاريخ ج ٩ ص ٢٥ .
- (٥٩) المقرئزي . الخطط ج ٢ ص ٥١٦ - ٥١٧ .
- (٦٠) ابن حجر . إنباء الغمر ج ١ ص ١٢٧ .
- (٦١) نفسه ج ٢ ص ٢٦٥ .
- (٦٢) نفسه .
- (٦٣) نفسه ج ١ ص ٧٧ .
- (٦٤) نفسه ج ٢ ص ٣٧٦ .
- (٦٥) ابن الفرات . التاريخ ج ٩ ص ٦٦ .
- (٦٦) نفسه ج ٩ ص ١٤٧ .
- (٦٧) المقرئزي . الخطط ج ٢ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .
- (٦٨) نفسه ج ٢ ص ٩٦ .
- (٦٩) المقرئزي . درر العقود الفريدة ق ١٠٢ أ .
- (٧٠) السخاوي : الذيل على رفع الإصر ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .
- (٧١) ابن الفرات . التاريخ ج ٩ ص ٧٢ - ٧٣ .
- (٧٢) نفسه ج ٩ ص ٥٨ - ٥٩ .

- (٧٣) نفسه ج ٩ ص ٥٦ .
- (٧٤) نفسه ج ٢/٤ ص ٤ - ٥ ، ١٣ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٩ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ج ٥ / ١ ص ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٦٦ ، ٢٤٦ .
- (٧٥) نفسه ج ٥ / ١ ص ٦٠ .
- (٧٦) نفسه ج ٤ / ١ ص ٢١٤ .
- (٧٧) نفسه ج ٤ / ١ ص ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٨ .
- (٧٨) نفسه ج ٤ / ٢ ص ٣٢ .
- (٧٩) نفسه ج ١/٥ ص ٤٣ .
- (٨٠) نفسه ج ٤ / ١ ص ٢١٦ .
- (٨١) الدميري . حياة الحيوان الكبرى ج ١ ص ٧٦ .
- (٨٢) نفسه ج ١ ص ٧٥ - ٧٨ .
- (٨٣) نفسه ج ١ ص ٩٢ .
- (٨٤) نفسه .
- (٨٥) المقرئ . الخطط ج ٢ ص ٢٣٢ .
- (٨٦) نفسه ج ٢ ص ٧٩ .
- (٨٧) نفسه ج ٢ ص ١٣٠ .
- (٨٨) المقرئ . درر العقود الفريدة ق ١٤٥ ب .
- (٨٩) نفسه ق ٩٣ ب .
- (٩٠) نفسه ق ١٣٧ ب .
- (٩١) عبد الباسط الحنفي . المجمع المفنن بالمعجم المعنون (مخط . مكتبة بلدية الإسكندرية ، ذات الرقم ٨٠٠ ب) ، ق ٨٠ ب .
- (٩٢) نفسه ق ٥ أ ، ٢٤ أ ، ٢٦٧ ب .
- (٩٣) نفسه ق ١٢٤ أ .
- (٩٤) نفسه ق ٢٥٦ ب .
- (٩٥) نفسه ق ١٨٤ ب .
- (٩٦) نفسه ق ٩٠ ب .

- (٩٧) ابن حجر . إنباء الغمر ج ١ ص ٤٧٠ .
- (٩٨) الدميري . حياة الحيوان الكبرى ج ١ ص ٩٥ .
- (٩٩) نفسه ج ١ ص ١٠٤ .
- (١٠٠) المقرئ . الخطط ج ٢ ص ١٣٧ .
- (١٠١) نفسه ج ٢ ص ١٦ - ١٧ .
- (١٠٢) نفسه ج ٢ ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .
- (١٠٣) ابن تغري بردي . البحر الزاخر ج ٣ ق ٤٣ .
- (١٠٤) عبد الباسط الحنفي . الروض الباسم ج ١ ق ٤٠ ب .

المصادر

- ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف .

- (١) البحر الزاخر في علم الأول والآخر . مخط . دار الكتب المصرية ، ذات الرقم : ٨٠٧٥ ح ، ج ٣ .
- (٢) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور . مخط . آيا صوفيا ، ذات الرقم : ٣١٨٥ .

- ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد :

إنباء الغمر بأنباء العمر . ت . د . حسن حبشي . القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٦٩ و ما بعدها ، ٤ ج .

- ابن دقماق ، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيمن :

- (١) الجواهر الثمين في سير الملوك والسلطين . مخط أحمد الثالث برقم ٢٩٨٤ / ٢ - مخط . حكيم أوغلي على برقم ٧٣٧ ، مخط . دار الكتب المصرية برقم ١٥٨٧ - تاريخ .

(٢) الجواهر الثمين في سير الملوك و السلطين . ت . محمد كمال الدين عز الدين بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٨٥ ، ط ١

- الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى :

حياة الحيوان الكبرى . القاهرة ، مصطفى الحلبي ، ١٩٧٨ .

- الزركشي ، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر :

عقود الجمان على وفيات الأعيان . مخط . الفاتح - تركيا ، برقم ٤٤٣٥ .

- السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن :

- (١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ . ت . فرانز روزنثال [ضمن كتاب : علم التاريخ عند المسلمين . تر . صالح أحمد العلي] . بيروت ، الرسالة ، ١٩٨٦ ، ط ١ .

(٢) الذيل على رفع الإصر . ت . د . جوده هلال وغيره . القاهرة ، دار المصرية ، ١٩٦٦ .

- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد :

الشماريخ في علم التاريخ . ت . د . إبراهيم السامرائي . بغداد ، ١٩٧١ .

- ابن شاکر الکتبی ، أبو عبد الله صلاح الدين محمد :

فوات الوفيات . ت . د . إحسان عباس . بيروت ، صادر ، ١٩٧٤ .

- عبد الباسط بن خليل الحنفي :

(١) الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم . مخط . الفاتيكان ،
برقم ٨٢٨ .

(٢) المجمع المفسن بالمعجم المعنون . مخط بلدية الإسكندرية ،
برقم ٨٠٠ ب .

(٣) نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من الملوك والسلطين . مخط . أحمد
الثالث ، برقم ٢٨٠٣ / ٢ .

- ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد :

العقد الفريد . ت . أحمد أمين وغيره . القاهرة ، اللجنة ، ١٩٦٣ .

- ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم :

(١) تاريخ ابن الفرات . ت . د . حسن محمد الشماع (ج ٤ ،
ج ٥) . البصرة ، ١٩٦٩ .

(٢) تاريخ ابن الفرات . ت . د . قسطنطين زريق - نجلاء عز الدين
(ج ٧ ، ٨ ، ٩) . بيروت ، الجامعة الأمريكية ، ١٩٣٦ - ١٩٣٨ .

- الكافيجي ، محيي الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سعد :
المختصر في علم التاريخ . مخط . معهد دمياط الديني ، برقم ٥٥ - تاريخ

- المقريري ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر :

(١) درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة . مخط جيته ،
برقم : ٢٧٠ - عرب

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . بولاق ، ١٨٥٣ .

